# التراث الصوتي عند الخليل بن أحمد

## من خلال مقدمة معجمه: (العين)


إعداد

**أ.د. محمد موسى السعيد جباره**

أستاذ أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات ببورسعيد - جامعة الأزهر

# التراث الصوتي عند الخليل بن أحمد من خلال مقدمة معجمه: (العين)

**محمد موسى السعيد جباره**
**قسم أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، فرع بورسعيد، جمهورية مصر العربية.**
**البريد الإلكتروني:MohammedGobara1958.el@azhar.edu.eg**

**الملخص:**
إن التراث العربي ما يزال نبعًا صافيًا يرتوي منه الظامئون إلى المعرفة، ومنهلًا عَذْبًا يَرِدُ عليه كلُّ مَنْ أراد العلم النافع، وما زال صانعو هذا التراث من علمائنا القدامى الأفذاذ الأجلاء سَبَّاقين في مجالات كثيرة من مجالات الدرس اللغوي، بل وغيره، وقد ارتبطت نشأة الدراسة الصوتية عمليًّا بالقرآن الكريم منذ نزوله على النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم كانت البداية الحقيقية لهذا العلم من الناحية النظرية على يد الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، فهو المؤسس الحقيقي لعلم الأصوات العربي، وقد حوت مقدمة معجمه: (العين) كثيرًا من القضايا الصوتية، التي أسست للدرس الصوتي، ومن هنا تنبع أهمية هذه المقدمة لدارسي علم الأصوات، لذا رأيت من المفيد أن أقف وقفة متأنية مع هذه المقدمة، لأستخرج منها القضايا الصوتية التي أثارها الخليل بن أحمد؛ لبيان مدى قيمتها العلمية؛ حيث تُعَدُّ اللبنة الأولى في صرح هذا العلم، فقمت باستخراج عدة قضايا من هذه (المقدمة) وتحدثت عنها، وهي: ترتيب الحروف الهجائية، عدد الحروف، تصنيف الأصوات، أعضاء النطق، إصدار الأصوات اللغوية وإدراكها، مخارج الحروف، توزيع الحروف على الأحياز، توزيع الحروف على المخارج، صفات الحروف.

**الكلمات المفتاحية:** الخليل بن أحمد ، علم الأصوات ، مخارج الحروف ، صفات الحروف ، أعضاء النطق.

# The Phonetic Heritage of Al-Khalil Bin Ahmed Through the Introduction to His Dictionary: (Al-Ain(

**Muhammad Musa Al-Saeed Gobara**
**Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Port Said, Al-Azhar University**
**Email: MohammedGobara1958.el@azhar.edu.eg**

**Abstract**

Arabic Language heritage is a pure spring for those who are thirsty for cognition to drink, and sweet river for all those who seek the useful knowledge. Our ancient genius scientists who established this heritage are still in the lead in many fields of linguistics and even other branches of knowledge. The emergence of the study of phonetics is practically related to Holy Quran since its revelation to prophet Mohamed, peace be upon him. However, the real emergence of the theoretical part of the field was at the hands of Al Khalil Bin Ahmed and that is why he became the real founder of Arabic phonetics. The preface of his lexicon "Al Ain" discussed many phonetic cases that established the phonetic science. Hence, comes the importance of the preface for phonetics students. Therefore, it would be useful to give more attention to the preface to extract the phonetic cases discussed by Al Khalil Bin Ahmed to highlight its scientific value as it is the base of this field. Here is the cases that are extracted from the preface and discussed in this study:

Arabic alphabetical order, number of letters, vocal ranges, speech organs, pronunciation and comprehension of phonetic sounds, articulators, distribution of letters to articulators, characteristics of letters.

**Keywords:** Al Khalil Bin Ahmed, Phonetics, Articulators, Characteristics Of Letters, Speech Organs

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**أما بعد ..**

فإن التراث العربي ما يزال نبعًا صافيًا يرتوي منه الظامئون إلى المعرفة، ومنهلًا عَذْبًا يَرِدُ عليه كلُّ مَنْ أراد العلم النافع، وما زال صانعو هذا التراث من علمائنا القدامى الأفذاذ الأجلاء سَبَّاقين في مجالات كثيرة من مجالات الدرس اللغوي – بل وغيره – سواء بالأوَّلِيَّة في ابتكار فنٍّ جديد من الفنون، أو لنقل باكتشافه واستخراجه من كلام العرب، كما فعلوا مع علوم: النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، وغيرها، أو بالأوَّلِيَّة في إفراد مؤلَّفٍ خاصٍّ بعلم من العلوم، كما فعل أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) حيث خَصَّ الدراسة الصوتية بكتاب مستقل، فكان كتابه (سر صناعة الإعراب) أوَّلَ مؤلَّف على مستوى اللغات كلها – فيما نعلم – خُصِّصَ للدراسة الصوتية.

ولما كانت نشأة الدراسة الصوتية مرتبطة بالقرآن الكريم – شأنها شأن بقية علوم العربية – فإن هذه النشأة ظهرت مع بدايات نزول القرآن الكريم، وارتبطت – أولًا – بتلاوته، حيث نزل قول الله – عز وجل – : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] أي: (بَيِّنْهُ تَبْيِينًا، والتَّبْيِينُ لا يتم بأن يَعْجَل في القرآن، إنما يتم بأن تُبَيَّنَ جميعُ الحروفِ، وتُوَفَّى حَقَّها في الإشباع)[1]،

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٥/ ٢٤٠، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

ولا يقتصر الأمر – في الترتيل – على تبيين الحروف وحدها، وإنما يشمل – كذلك – الحركات، قال القرطبي (ت٦٧١هـ): (والتَّرْتِيلُ في القراءَةِ هو التَّأَنِّي فيها، والتَّمَهُّلُ، وتَبْيِينُ الحروفِ والحركاتِ) [١].

ذلك أن (الترتيل: سَرْدُ اللفظ بعد اللفظ، يتخلل بينهما زمن يسير. من قولهم: ثَغْرٌ مُرَتَّلٌ، أي: مُفَلَّجُ الأسنان).[٢]

ثم بعد ذلك كانت محاولة أبي الأسود الدؤلي في ضبط أواخر الكلمات القرآنية، وهو ما عُرِفَ بنَقْط الإعراب، ثم تتابع الأمر حتى جاء الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) الذي كان إمام الصوتيين واللغويين العرب، حيث قدَّم للفكر الصوتي أهم أسسه ومبادئه.[٣]

فالخليل بن أحمد هو المؤسس الحقيقي لعلم الأصوات العربي، وقد حوت مقدمة معجمه: (العين) كثيرًا من القضايا الصوتية، التي أسست للدرس الصوتي، ومن هنا تنبع أهمية هذه المقدمة لدارسي علم الأصوات، لذا رأيت من المفيد أن أقف وقفة متأنية مع هذه المقدمة، لأستخرج منها القضايا الصوتية التي أثارها الخليل بن أحمد، لبيان مدى قيمتها العلمية؛ حيث تُعَدُّ اللبنة الأولى في صرح هذا العلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١/ ١٧، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان ٨/ ٧٧، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: علم الصوتيات، د. عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع، ص٧٣ وما بعدها، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

**ولعل هذه الدراسة استطاعت أن تجيب عن أسئلة مهمة، منها:**

- ما القضايا التي أثارها الخليل بن أحمد في مقدمة معجمه: (العين)؟ وما قيمتها العلمية؟
- لماذا كلف الخليل نفسه مشقة البحث عن ترتيب آخر غير الترتيب المعروف في عصره؟ ولماذا خالفه تلميذه سيبويه في هذا الترتيب؟
- ولماذا اقتصر على بعض صفات الأصوات دون بعضها؟
- هل عرض الخليل لمخارج الحروف بالتفصيل نفسه الذي وَرَدَ عند تلميذه سيبويه؟ ولماذا؟ وهل أخطأ في تحديد مخرج الهمزة؟
- ما الفرق بين تصنيف الأصوات عند الخليل وتصنيفها لدى المحدثين من علماء الأصوات؟

أما عن المنهج الذي اتبعته في دراستي، فقد اتبعت المنهج الوصفي، بأداته التحليلية، حيث قمت بتحليل ما ورد في مقدمة معجم (العين)، وتقسيمه إلى قضايا، ووضعت لكل قضية عنوانًا مناسبًا لها.

ولم أُغفل ما ذكره أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) في مقدمة معجمه: (تهذيب اللغة) مَعْزُوًّا إلى الخليل، وما نقله أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) في كتابه: (تذكرة النحاة) عن أبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي (ت٣٩٩هـ) مَعْزُوًّا إلى الخليل، حيث إنهما مُكَمِّلان لما ورد في مقدمة معجم (العين).

أما عن القضايا التي تحدثت عنها، فهي: ترتيب الحروف الهجائية، عدد الحروف، تصنيف الأصوات، أعضاء النطق، إصدار الأصوات اللغوية وإدراكها، مخارج الحروف، توزيع الحروف على الأحياز، توزيع الحروف على المخارج، صفات الحروف.

وبعد ذلك كانت الخاتمة، التي سجلت فيها أهم نتائج البحث، ثم أتبعتها بفهرس للمصادر والمراجع.

ولم أعمد في دراستي هذه إلى عقد مقارنة بين ما فعله الخليل وما توصل إليه المحدثون في مجال الدراسة الصوتية، لأنني أردت أن تكون خالصة – قدر الإمكان – للكشف عن شيء من الجهود الصوتية للخليل ابن أحمد، رحمه الله تعالى.

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة أفادت من دراسات سابقة لها قيمتها العلمية، وسيأتي ذكرها في ثنايا البحث.

واللهَ أسألُ أنْ أكون وُفِّقْتُ فيما قصدت
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

**ترتيب الحروف الهجائية:**

بدأت مقدمة معجم (العين) بالحديث عن ترتيب الحروف الهجائية (هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصريّ – رحمة الله عليه – من حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكمَّلَت به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء).[١]

من المعلوم أنه اشْتُهر للحروف الهجائية قبل الخليل بن أحمد نوعان من الترتيب، هما: الترتيب الألفبائي (أ، ب، ت، ث...الخ)، والترتيب الأبجدي (أبجد هوز...الخ) الذي كان معروفًا من قبلُ عند السريان.

والنص الذي معنا يشير إلى ما يُعْرف بالترتيب الألفبائي أو النَّصْرِيّ، نسبة إلى واضعه وهو: نصر بن عاصم (ت٩٠هـ)، وقد راعى فيه وضع الأشكال المتشابهة بعضها بجوار بعض، فبدأ بالثلاثيات، ثم بالثنائيات، ثم بالمفردات التي لا أشباه لها، وترك الهمزة في بداية الحروف كما كانت في النظام الأبجدي؛ كي تَبْعد عن الألف اللينة فلا تلتبس بها.[٢]

فالخليل لم يغب عنه هذا الترتيب، ويمكننا القول بأنه لم يغب عنه – كذلك – الترتيب الأبجدي، رغم أنه لم يُشر إليه، ولعل عدم إشارته إليه تكمن في أنه اكتفى بالإشارة إلى الترتيب الألفبائي، حيث إنه ترتيب عربي حديث النشأة نسبيًّا، فواضعه – كما سبق – نصر بن عاصم (ت٩٠هـ) وأصبح معروفًا لدى العرب، أما الترتيب الأبجدي فقد كان معروفًا عند السريان.

---

(١) العين، للخليل بن أحمد ١/ ٤٧، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، مهدي المخزومي، ص٩٦، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٦٠م.

وعلى العموم فالخليل بن أحمد لم يعتمد على أيٍّ منهما، حيث وجد أن الترتيب الأبجدي ترتيبٌ تعليميٌّ، يهدف إلى تيسير حفظ الحروف الهجائية واستظهارها، ولا يخضع لنظام معين، أما الترتيب الهجائي فرغم اعتماده على أساسٍ من تشابه أشكال الحروف وصورها في الكتابة، فإنه – أيضًا – ترتيبٌ تعليميٌّ؛ لذا تركه الخليل ولم يعتمده.(١)

فهذان النوعان من الترتيب لا يشيران إلى قيمة صوتية تركيبية، تُعِين على كشف خصائص الكلام العربي كما يَبْدو.(٢)

فهذان النوعان من الترتيب لا يخدمان هدف الخليل، فإذا تُرِكَ الترتيب العربي لهذه العلة، رغم اعتماده على أساس، فمن باب أوْلى تَرْكُ الترتيب المعروف عند السريان، الذي لم يعتمد على أساس واضح في ترتيب الحروف.

إذن فالخليل كان يبحث عن عِلَّة علمية معقولة لترتيب الحروف، فَأَعْمل فكره، واجتهد لتحقيق ما يصبو إليه، فاهتدى إلى ترتيب الحروف بحسب أعمقها مخرجًا، وَعَدَّ هذا أساسًا علميًّا متينًا؛ حيث إنه يبدأ من الحلق، وهو أوّل المخارج – حسب اجتهاده –، وينتهي بآخرها وهو الشفتان، تبعًا لسَيْر الهواء عند خروجه من الرئتين، فيما يعرف بعملية الزفير.

فالخليل نظر في الترتيب السائد في ذلك الوقت (فأَعْمَلَ فكره فيه فلم يُمْكِنْهُ أن يَبْتَدِئَ التأليفُ من أول: أ، ب، ت، ث، وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتلّ، فلما فاته الحرفُ الأوّل كَرِهَ أن يَبْتَدِيءَ بالثاني – وهو الباء –

(١) ينظر: التفكير الصوتي عند الخليل، د. حلمي خليل، ص١٣، ط١، ١٩٨٨م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(٢) ينظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، د. أحمد محمد قدور، ص٢٣، ٢٤، ط٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، دار الفكر، دمشق.

إلا بعد حُجّةٍ واستقصاء النَّظَر، فدبّر ونَظَرَ إلى الحروف كلِّها وذاقَها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق فَصَيَّر أَوْلاها بالابتداء أَدْخَلَ حرفٍ منها في الحلق).[١]

فالخليل أحاط خُبْرًا بالترتيب الألفبائي، لكنه لم يعتمد عليه في عمله المعجمي؛ لأن هذا الترتيب – كما جاء في النص السابق – يبدأ بالألف، وهو حرفٌ معتلّ، لا يستقر على حال واحدة، والمراد بالألف في النص السابق هو: الهمزة، وَوَصْفُه لها بالاعتلال يرجع إلى قوله عنها – كما ورد في رواية ابن كيسان (ت٢٩٩هـ) –: (لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف) [٢]، فلما فاته الحرف الأول صار (لا معنى أن يَبْتدئ بما يليه، وهو الباء؛ لأنه ترجيحٌ بلا مُرَجِّح، وتقديمٌ دون أساس).[٣]

ومن هنا وجدنا الخليل – رحمه الله تعالى– يُعْمل فكره ويجتهد في وضع ترتيبٍ للحروف، مُعْتمدًا على ما سماه: ذَوْق الحروف، أو ما سُمِّيَ – بعد ذلك – بالتجربة الذاتية (وإنما كان ذَواقه إيَّاها أنّه كان يَفْتَحُ فاهُ بالألفِ ثم يُظْهِرُ الحَرْفَ، نحو: ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ).[٤]

وبناء على ذوق الحروف، أو التجربة الذاتية استطاع الخليل أن يُرَتّب الحروف ترتيبًا صوتيًّا، بحسب أعمقها مخرجًا، مُسْتثنيًا من ذلك بعضَ الحروف لعلّة ظهرتْ له، يتضح ذلك فيما رواه ابن كَيْسان في قوله: (لم أبْدَأْ

(١) العين ٤٧/١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي ٩٠/١، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث بالقاهرة.

(٣) الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، ص٤٠، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.

(٤) العين ٤٧/١.

بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقصُ والتغييرُ والحذفُ، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداءِ كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبْدَلَةً، ولا بالهاءِ؛ لأنها مهموسة خفيَّة لا صوتَ لها، فنزلتُ إلى الحيِّز الثاني وفيه العين والحاء، فوجَدْت العين أنْصَعَ الحرفين؛ فابتدأت به ليكون أحسنَ في التأليف).[١]

إذن فقد بدأ بالعين لنصاعتها، ثم الحاء؛ لأنها معها في الحيّز نفسه، ثم رجع إلى الهاء –التي ترك البدء بها لخفائها – فوضعها بعد الحاء، ثم الخاء لأنها تلي الحاء في الترتيب المخرجي ثم واصل ترتيبه بحسب الأعمق مخرجًا، الأرفعُ فالأرفع حتى أتَى على آخرها وهو الميم، كما وَرَدَ عنه، فجاء الترتيب على النحو التالي: ع، ح، ه، خ، غ، – ق، ك – ج، ش، ض، – ص، س، ز – ط، د، ت – ظ، ذ، ث – ر، ل، ن – ف، ب، م – و، ا، ي، همزة.[٢]

**<u>عدد الحروف</u>:**

(قال اللّيث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفًا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفًا صِحَاحًا، لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف، وهي: الواو والياء والألف اللَّيِّنَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جُوفًا؛ لأنها تَخْرُجُ من الجَوْف، فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيِّزٌ تُنسب إليه إلا

(١) المزهر ١/٩٠.

(٢) ينظر: العين ١/٥٨، ومقدمة كتاب (العين) في أرجح نصوصها، محمد حسن آل ياسين، ص٦٩، مجلة البلاغ، العدد: التاسع، السنة السادسة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م. (ويلاحظ أن الترتيب الوارد في: العين ١/٤٨ فيه تقديم الثاء على الذال، وهذا خطأ، ولا يتفق مع ترتيب الأبواب في المعجم).

الجَوْفَ. وكان يقول كثيرًا: الألِفُ اللَّيِّنَةُ والواو والياءُ هوائية، أي أنها في الهواء).[١]

في النص السابق يقرر الخليل أن الحروف العربية تسعة وعشرون حرفًا، وأنها تنقسم إلى قسمين: صحاح، ويشمل خمسة وعشرين حرفًا، وجُوف، ويشمل أربعة أحرف، وهي: الواو، والألف، والياء، والهمزة، حيث عدها الخليل مع حروف العلة؛ لأنها عند تخفيفها تصير إلى واحد من هذه الأحرف الثلاثة (واي).

ويلاحظ أن الخليل لم يذكر – هنا – سوى الحروف الأصلية؛ لأنه كان يقصد إلى معرفة التراكيب الممكنة من الحروف العربية، باستعمال نظام التقليبات، فقد كان بصدد عملٍ معجميّ، فجاءت الدراسة الصوتية مقدمة لهذا العمل، (أي أن تصنيف الصوامت العربية تصنيفًا علميًّا نظريًّا لم يكن هدف الخليل الأول، وإنما كان هدفه معرفة خصائص البناء الصوتيّ للكلمة العربية في ضوء هذه الخصائص).[٢]

**تصنيف الأصوات:**

يتضح لنا من الفقرة السابقة أن الخليل قسم الأصوات إلى قسمين: صحاح، وجُوف.

وقولُ الخليل عن الحروف الصحاح بأن لها أحيازًا ومَدَارج، وذِكْرُه مدارج اللسان والحلق واللهاة معناه: أنه كان مدركًا للفروق الفسيولوجية النطقية التي بها تفترق الحروف الجُوف عن الحروف الصحاح.

(١) العين ٥٧/١.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل، ص٣٧.

ويؤكد ذلك أنه لقَّبَ الحروف بحسب مدارجها، فهذه حلقية، وأخرى لَهَوِيَّة، وثالثة شَجْرِيَّة ...الخ فَنُسِبَ كلُّ حرفٍ إلى مدرجته وموضعه الذي يَبْدأ منه، على حَدِّ قوله.(١)

ثم ذكر علة تسمية الحروف الجُوف بهذا الاسم؛ بأنها: هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيِّزٌ تُنسب إليه إلا الجَوْفَ، حيث إنها لا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة.

وهذا يقودنا إلى فكرة تقسيم الأصوات عند المحدثين إلى صوامت وصوائت، مع ملاحظة أن المحدثين عدُّوا الهمزة من الصوامت، وهو الصحيح.

والصامت في عُرف المحدثين هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يَحْدث عند النطق به اعتراضٌ كامل للهواء، كما يحدث مع الأصوات الشديدة، أو اعتراض جزئي، فيؤدي ذلك إلى تضييق ممر الهواء، وهذا من شأنه أن يُحْدث احتكاكًا مسموعًا، كما يَحْدث مع الأصوات الرخوة، أما الصائت فهو الصوت المجهور الذي يحدث عند النطق به أن يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، دون أن يكون هناك عائق يعترض الهواء، فَيُضَيِّق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو يمنعه من المرور، كما يحدث مع الأصوات الشديدة.(٢)

وبناء على ما سبق يمكننا القول بأن الخليل – رحمه الله تعالى – أدرك الفرق بين النوعين، لكنه أطلق عليهما مصطلحيْ: صحاح وجُوف،

(١) ينظر: العين ٥٨/١.

(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص١٤٨، ١٤٩، ط٢، ١٩٩٢م، دار الفكر العربي، الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص٢٦، الناشر: الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

مع ملاحظة أنه جعل الهمزة مع الحروف الجُوف، أو حروف العلة (أو: مع الصوائت، حسب تعبير المحدثين)، ولعله فعل ذلك لأنها – كما ورد في رواية ابن كيسان السابقة – يلحقها النقص والتغيير والحذف، علمًا بأن الخليل كان يدرك الفرق بين الهمزة وحروف العلة، فقد روى الأزهري – من غير طريق الليث – أن الخليل كان يرى أن الهمزة أقوى حروف العلة مَتْنًا، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين، وأن أصل حروف العلة من عند الهمزة، والدليل على ذلك أن بعض العرب إذا وقف عندهنّ هَمَزَهُنّ، كقولهم للمرأة: افْعلىءْ، وللاثنين: افْعلأْ، وللقوم: افْعلُؤْ، فإنّما يُهْمَزْنَ في تلك اللغة؛ لأنهنّ إذا وُقِفَ عندهن انقطع أنفاسهن، فرَجعْن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة.(١)

ويقول عنها – أيضًا –: ( وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح).(٢)

فإذا أضفنا إلى هذا النص وصف الخليل حروفَ المدّ والهمزة بأنها هوائية؛ لأنها لا يتعلق بها شيء، كان هذا معناه أن الخليل (أدرك الفرق الفسيولوجي بين حروف المدّ، وما عداها من الأصوات في أن الأولى لا يعترضها عائق، أو ليس لها احتكاك مسموع، بناء على أن الممرّ معها متسع، بخلاف الأصوات الصامتة التي سماها: الحروف الصحاح، فإن العائق يعترضها، سواء أكان على صورة الغلق المحكم – كما هو الحال في أصوات: الكاف، والدال، والباء مثلا – أم على صورة التضييق الذي تختلف

(١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٥١/١، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) العين ٥٢/١.

درجاته باختلاف الأصوات، كما في: السين، والفاء، والحاء، والغين، والزاي، وما شاكلها).[١]

ويبدو أن الهمزة في حال كونها مهتوتة مضغوطة تقترب من الصحاح، في حين أنها إذا رُفِّهَ عنها لانت، فتصير ياءً أو ألفًا أو واوًا، على غير طريقة الحروف الصحاح، وربما كان المقصود من الهَتّ والضغط ما يستشعره الناطق بالهمزة من عَصْر وشدّ وانحباس، نتيجة انطباق لسان المزمار انطباقًا تامًّا، ثم انفراجه سريعًا، أما لين الهمزة فلعل المقصود به: عدول الناطق عن الهمز، أي: الضغط، إلى جريان الهواء داخل فراغ الحنجرة دون حبس، فالهمزة وإن عَدَّها الخليلُ من حروف العلة، بسبب كثرة ما يعتريها من تغيير يقلبها حرفًا من حروف العلة تبقى أقوى هذه الحروف متنًا.[٢]

فالخليل وضع الهمزة مع حروف العلة، أو كما نقول: مع الصوائت، وقد يكون هذا صحيحًا من وجهة النظر الفونولوجية؛ لأن الهمزة تشترك مع الصوائت – كما لاحظ الخليل – في مسلكها الفونولوجي، من حيث التغير والانقلاب والحذف، ومعنى هذا أن الخليل كان ينظر إلى الهمزة من جانبين:

**الأول:** الجانب الفونوتيكي، حينما حَدَّدَ موضع نطقها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة.

(١) علم الصوتيات، د. عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع، ص١٨٧.

(٢) ينظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٣٣، ٤٤.

**الثاني:** الجانب الفونولوجي، وذلك حين عَدَّها من الصوائت الطويلة؛ لأنها تخضع للقوانين الفونولوجية نفسها التي تخضع لها الصوائت الطويلة من حيث التبادل والتغير وعدم الثبات.(١)

وقد أدرك الخليل – كذلك – الفرقَ بين الواو والياء إذا كانا صائتين، والواو والياء إذا كانا شبيهين بالصوائت، أي في حال سكونهما وانفتاح ما قبلهما، كما في: خَوْف، وبَيْت، ولكنه بالطبع لم يستعمل هذين المصطلحين، ولكنهما من اصطلاحات المحدثين، وليس مطلوبًا منه استعمالهما، والأهم أن ما أدركه لا يختلف عما أدركه المحدثون من علماء الأصوات، حيث يقول بعد النص السابق: (فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة. وهؤلاء في مجرى واحد، والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قَوِيَتا، وكذا إذا تحركتا كانتا أَقْوَى).(٢)

وتعليل الخليل تسمية الحروف الجُوف بخروجها (من الجَوْف، فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيِّزٌ تُنسب إليه إلا الجَوْفَ. وكان يقول كثيرًا: الألِفُ اللَّيِّنَةُ والواو والياءُ هوائية، أي أنها في الهواء)(٣)، يدلُّ على أن الخليل استطاع أن يضع يده على خاصية مهمة من خواص الحركات، والتي تتمثل في حرية مرور الهواء حال النطق بها دون أدنى اعتراض، كما أشرنا سابقًا، لكن الجديد – هنا – فيما رواه الأزهري من غير طريق الليث، حيث يقول: (والياء والواو والألف اللَّيِّنة منوطات بها

(١) ينظر: التفكير الصوتي عند الخليل، ص٥٩، ٦٠.
(٢) تهذيب اللغة ٥١/١، ٥٢.
(٣) العين ٥٧/١.

(أي: الهمزة) ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مُخْتَفِضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين).[١]

وإذا كانت مدرجة الصوت هي النقطة التي يبتدئ منها الصوت، فلا شك أن الخليل شعر بدور اللسان وحركة الشفتين في تلوين الصوائت الطويلة، والتمييز بينها فعبر عن ذلك بالنسبة للألف بقوله: (فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى) ولعله يقصد بذلك أن الجزء الخلفي من اللسان هو الذي يرتفع نحو الغار الأعلى، وهو الجزء الفعّال في نطق الألف، أما قوله عن الياء: (ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس) فالمقصود – بطبيعة الحال – الأضراس السفلى، أي أن الجزء الأمامي من اللسان يرتفع في اتجاه الحنك، بينما ينخفض طرف اللسان إلى أسفل، وأما الواو فهي – كما قال – مستمرة بين الشفتين.[٢]

**أعضاء النطق:**

الناظر في مقدمة (العين) يجد أن الخليل – رحمه الله تعالى – ذكر كثيرًا من أعضاء النطق، ودورها في إصدار الأصوات اللغوية وإنتاجها، بل إنه لَقَّبَ بعض الأصوات بموضع نطقها من أعضاء جهاز النطق الإنساني، ولا يعني هذا أنه أفرد أعضاء النطق بحديث خاص، كما يفعل علماء الأصوات في عصرنا، وإنما جاء ذكرها أثناء حديثه عن أحياز الحروف ومدارجها، ولا يؤخذ عليه عدم إفرادها بحديث خاص؛ لأنه فعل ما يناسب عصره، وهدفه، إذ لم تكن الدراسة الصوتية هدفه الأساس، وإنما استعان بها من أجل ترتيب الحروف بحسب أعمقها مخرجًا، كما أن ما فعله الخليل

(١) تهذيب اللغة ١/٥١.

(٢) ينظر: التفكير الصوتي عند الخليل، ص٥٨.

يتناسب مع كونه المؤسس الحقيقي لعلم الأصوات العربية، وهذه الطريقة ورثها عنه كلُّ من جاء بعده من اللغويين والنحويين وعلماء القراءات والتجويد، فأعضاء النطق عند هؤلاء تَرِد عادة (في درج الحديث عن المخارج ثم الصفات، وإذا عَرَضَ في أثناء ذلك مصطلحٌ غريبُ الدلالةِ أو جديدُها شُرِح في موضعه بأوجز عبارة).[١]

والأهم هو أن الخليل بن أحمد عرف (معظم أعضاء النطق التي ذكرها المحدثون، فيما عدا التشريح الداخلي للحنجرة؛ وذلك لسبب واضح وهو أن معظم أعضاء النطق مكشوفة يمكن ملاحظتها، أما ما في داخل الحنجرة فلا يمكن أن يُرى أو يُعرف إلا بالتشريح)[٢]، ولم يقل أحد بأن الخليل كان عالمًا بالتشريح، أو متخصصًا بجراحة الحنجرة، ولم يُنْقل أنه اضطلع بمهمة طبية، ويبقى ما ذكره من أجزاء جهاز النطق الإنساني فيه الكفاية لعصره، إن لم نقل للعصور كافة؛ لأنه قد تَضَمَّنَ – بكثير من الأبعاد – الإشارةَ لهذه المباحث التي تفرغ لها الأوروبيون.[٣]

ومن هذه الأعضاء التي ذكرها الخليل في مقدمة (العين): الحلق، اللسان، طرف اللسان، الشفتان، ذلق اللسان، طرف غار الفم، ظهر اللسان، باطن الثنايا، الغار الأعلى، الطبقتان[٤]، عكدة اللسان، اللهاة، أقصى الفم، أقصى الحلق، الجوف، شَجْر الفم، أي: مَفرج الفم، أَسَلَة اللسان، وهي

(١) أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٤٨.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل، ص١٨.

(٣) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، ص٤٩.

(٤) عند الأزهري من طرق الليث: الطبقان، ينظر: تهذيب اللغة ٣٧/١.

مُسْتَدق طرف اللسان، نِطَع الغار الأعلى[١]، اللِّثَة، طَرَفَا ذَلَق اللسان، الفم.[٢]

وأضاف الأزهري (ت ٣٧٠هـ) – فيما رواه عن الليث–: أَدْخَلها في الحلق، طرف أسلة اللسان، ذَوْلَق اللسان.[٣]

كما أضاف من غير طريق الليث: مقدم الغار الأعلى، أصل اللسان، طرف اللسان، الأضراس.[٤]

وأضاف أبو حيان نقلًا عن أبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي (ت٣٩٩هـ) من طريق الليث: أدنى الحلق، موضع الذَّلاقة.[٥]

ومن طريق النَّضْر بن شُمَيْل (ت٢٠٤هـ) أضاف: فوق حنك اللهاة، أسفل حنك اللهاة، وسط الحنك، وسط اللسان، حافة اللسان، أصول الثنايا، طرف اللسان، الثنايا العُلا، أطراف الثنايا العُلا، الشفة السُّفْلى، حافّات اللسان، منتهى طرف اللسان، فُوَيْق الثنايا من طرف اللسان.[٦]

(١) أي: سقف الحنك، قال ابن منظور: (والنِّطْعُ والنِّطَعُ والنَّطَعُ والنَّطْعَةُ: ما ظَهَرَ من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخُلَيْقاءِ، فيها آثار كالتَّحْزِيز). لسان العرب، لابن منظور ٦/ ٤٤٦١ (ن ط ع)، دار المعارف بمصر.

(٢) ينظر: العين ١/٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٥٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ١/٣٥، ٣٧، ٤٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١/٤٢، ٤٣.

(٥) ينظر: تذكرة النحاة، لأبي حيان، ص٢٥، ٢٦، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٦) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٧، ٢٨.

ومن طريق الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة، ت٢١٥هـ) أضاف أبو حيان: الحنك، فُوَيْق الحنك، حافة المِنْباس[١]، الشدق الأيمن، الشدق الأيسر، الحنك الأعلى، الشَّبَك المُثَنّى[٢]، شَبَاة اللسان[٣]، سَرَاة اللسان[٤]،

(١) لم أعثر على معنى المنباس فيما رجعت إليه من المعاجم وكتب اللغة، ويمكن الاستئناس بقول ابن منظور: (نَبَسَ يَنْبِسُ نَبْسًا، وهو أَقل الكلام. وما نَبَس: أَي ما تحركَتْ شفتاه بشيء. وما نَبَسَ بكلمة: أَي ما تكلم). لسان العرب ٦/ ٤٣٢٤ (ن ب س). فلعل المقصود بالمنباس – فيما ذكره أبو حيان –: اللسان، فسياق الكلام يشير إلى ذلك، حيث يقول: (ثم الجيم والياء وهما من مبدئه ويعارضانه في مجراه، وينوب أحدهما مناب الآخر في مواضعهما، ثم يعارضها لفظ الأضاد معارضة الأضاد **من حافة المنباس وما يليها من الأضراس، وهما مع اختلافهما في الجريان بدلان مختلفان، لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن، وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر**). تذكرة= =النحاة، ص٢٩، ٣٠. فالجزء الثاني من النص السابق يتحدث عن صوت الضاد، وهي التي وصف ابن جني مخرجها بقوله: (ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر). سر صناعة الإعراب، لابن جني ١/٤٧، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار القلم، دمشق. وينظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣، ط١، دار الجيل بيروت.

(٢) لم أعثر على معنى الشبك المثنى فيما رجعت إليه من المعاجم وكتب اللغة، ولعل المقصود به ما يعرف بمقدم الحنك، فسياق الكلام يشير إلى ذلك، حيث يقول: (ثم من حروف اللسان إلى منتهاه مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيز التمام؛ لأن مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضًا لأصول الثنايا والرباعيات مشاركًا لبعضها في الانحراف). تذكرة النحاة، ص٣٠. وقال ابن جني عن مخرج اللام: (ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فُوَيق الضاحك والناب والرَّباعية والثَّنيّة، مخرج اللام). سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٣) شباة كل شيء: حَدُّ طَرَفه. لسان العرب ٤/ ٢١٩١ (ش ب ا).

(٤) سراة كل شيء: أعلاه، وظَهْره، ووسطه. لسان العرب ٣/٢٠٠٢ (س ر ا).

فوق اللسان، حروف أطراف اللسان، منتهى اللسان، أصول الرَّباعيات، عَكَد اللسان، باطن الشفة السُّفْلى، أطراف الثنايا العُلا، الخياشيم.(١)

وبالنظر إلى ما ذكره الخليل من أعضاء جهاز النطق الإنساني، يتبين لنا دقة الخليل في تناوله لأعضاء النطق، وذكره لها – ما عدا الحنجرة والوترين الصوتيين – على هذا النحو من التفصيل، بل إن هذا يدلّ على ما كان الخليل (يتصرف فيه من معلومات واسعة ودقيقة، تزيد في تفصيلاتها على ما يعتمده الدرس الحديث من تحديد لأعضاء النطق، مع تقدم الوسائل، وتتابع الخبرات).(٢)

أما عدم ذكر الحنجرة عند الخليل وسيبويه وغيرهما فيمكن القول بأنه كان يُؤَدَّى بعبارة (أقصى الحلق) الذي نسبوا إليه صوتي: الهمزة والهاء، وهما حنجريان، كما أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة.(٣)

**إصدار الأصوات اللغوية وإدراكها:**

تعليل الخليل تسمية الحروف الجُوف بخروجها (من الجَوْف، فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيِّزٌ تُنسب إليه إلا الجَوْفَ. وكان يقول كثيرًا: الألِفُ اللَّيِّنَةُ والواوُ والياءُ هوائيةٌ، أي أنها في الهواء)(٤)، يعطينا دليلًا واضحًا على معرفة الخليل بثلاثة أمور مهمة في عملية إصدار الأصوات وإدراكها، وهي:

(١) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٩، ٣٠، ٣١.

(٢) أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٥٠.

(٣) ينظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٥١.

(٤) العين ٥٧/١.

**الأول:** ارتباط إصدار الأصوات وإنتاجها بتيار الهواء الخارج من الرئتين، فيما يُعرف بعملية الزفير.

**الثاني:** ما يحدث للهواء حين خروجه من اعتراض كُلِّيٍّ أو جُزئيّ، في إحدى مدارج الحلق، أو اللسان، أو غيرهما، مما يترتب عليه إصدار الأصوات اللغوية.

**الثالث:** تمييز الخليل بين الأصوات من خلال التمييز بين مخارجها، أو أحيازها ومدارجها – حسب تعبيره – نقف منه على معرفته بمرحلة سماع الأصوات وإدراكها، ولكن بحسب ما تيسر له في ذلك العصر فمن المعلوم أن (الأصوات بعد نطقها تتحول إلى اهتزازات أو ذبذبات ينقلها الوسط الناقل، فتستقبلها الأذن، وفيها يتم التعرف على الذبذبات وإدراكها).[١]

**مخارج الحروف:**

عرض الخليل لمخارج الحروف، لكن عرضه لها لم يكن بالتفصيل نفسه الذي وَرَدَ عند تلميذه سيبويه، ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف الهدف الذي جَعَلَ كلَّ واحد منهما يعرض للدراسة الصوتية، (فكتاب العين معجم ينظر إلى البنية الصوتية في حال التأليف والتركيب، وسيبويه يدرس الأصوات ويصنفها تمهيدًا لدراسة الإدغام، أي لمعرفة علاقة كل صوت مفرد من حيث خصائصه النطقية مع صوت آخر له خصائص نطقية مشابهة أو مختلفة، بِغَضّ النظر عن إمكانية التأليف بينها).[٢]

لكن على العموم كانت ملاحظات الخليل بالنسبة للمخارج دقيقة وصحيحة، ولا نستطيع اتهام الخليل بالخطأ أو عدم الدقة؛ لأن ما استدركه سيبويه على أستاذه الخليل إنما يرجع – في جزء كبير منه – إلى اختلاف

(١) علم الصوتيات، ص١٢٧.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل، ص٣٥.

المنهج عند كلٍّ منهما، فسيبويه كان يتناول أصوات العربية صوتًا صوتًا، وليس كما صنع أستاذه حينما تناولها من حيث هي مجاميع صوتية، قد يجمع بينها التأليف أو لا يجمع.(١)

ويلاحظ أنه – حينما تحدث عن المخارج – استعمل أربعة مصطلحات، هي: المخرج، والحَيِّز، والمدرج، والموضع، من ذلك – مثلًا – قولُ الخليل: (اعلم أنَّ الحروف الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقًا؛ لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين، **وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة**، منها ثلاثة ذليقة، ر، ل، ن، **تخرج من ذَلْقَ اللسان** من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف، ب، م، **مخرجها من بين الشَّفَتَيْن** خاصة)(٢)، وقوله: (في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفًا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفًا صِحَاحًا، **لها أحيازٌ ومدارج**)(٣)، وقوله: (فالعين، والحاء، والخاء، والغين حلقية؛ لأمن مبدأها من الحلق...فَنُسِبَ كل حرف إلى **مَدْرَجَته وموضعه** الذي يبدأ منه).(٤)

ولنا أن نتساءل: هل كان الخليل يستخدم هذه المصطلحات الأربعة بمعنى واحد على سبيل الترادف؟

وبالنظر في السياقات التي وردت فيها هذه المصطلحات نستطيع أن نقول: إنه استعمل هذه المصطلحات الأربعة بمعنيين، حيث استعمل ثلاثة

---

(١) التفكير الصوتي عند الخليل، ص٣٥.

(٢) العين ٥١/١.

(٣) العين ٥٧/١. والنص هناك: (لها أحيانا ومدارج)، والتصويب من: مقدمة كتاب (العين) في أرجح نصوصها، محمد حسن آل ياسين، ص٥٤، مجلة البلاغ، العدد: العاشر، السنة السادسة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨.

(٤) العين ٥٨/١.

منها بمعنى واحد، وهي: المخرج، والموضع، والمدرجة، واستعمل الحيز بمعنى آخر، وذلك على النحو التالي:

**المخرج:** هو الموضع الذي يتشكل فيه الصوت ويتكوَّن، إما نتيجة الاعتراض الكلي لتيار الهواء، الذي يتم عن طريق التقاء عُضْوَيِ النطقِ التقاء تامًّا محكمًا يمنع مرور الهواء، ثم انفراجهما فيخرج الهواء من بينهما مندفعًا، مُحْدِثًا صوتًا انفجاريًّا، كما يحدث مع الأصوات الشديدة، كالباء، والتاء، وإما نتيجة الاعتراض الجُزْئي لتيار الهواء، مما يُسَبِّب احتكاكًا مسموعًا، كما يحدث مع الأصوات الرخوة، كالسين، والفاء.

فمخرج الحرف هو موضع خروجه، وكذلك مدرجته، أي موضعه الذي يبدأ منه، والدليل على أنه استعمل هذه المصطلحات بمعنى واحد، أنه عندما تحدث عن الحروف الصحاح قال: (لها أحياز ومدارج)، فلم يذكر سوى هذين المصطلحين، ثم تحدث عن الحروف الجُوف فقال: (وسُمِّيت جُوفًا؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيِّزٌ تُنْسب إليه إلا الجَوْفَ).[1]

**أما الحَيِّز** فيضم صوتين، أو عدة أصوات تخرج من مخارج متقاربة جدًّا، أو من مخرج واحد، ولا يفرق بينها سوى الصفات.

فالنوع الأول يُفْهَم من قوله – مثلًا –: (فأقصي الحروف كلها العين، ثم الحاء، ولولا بُحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاء، ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة: " ههّة " لأَشْبَهَت الحاءَ؛ لقُرْب مَخْرَج

(١) العين ٥٧/١، ومقدمة كتاب (العين) في أرجح نصوصها، ص٥٤، والنص هناك: (سُميت...ولا من مدارج اللهاة) بدلا من مدرج.

الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّز واحد بعضُها أرفع من بعض، ثم الخاءُ والغَيْنُ في حيِّز واحد كلَّهُنَّ حلقية).[١]

أما النوع الثاني فيُفْهم من قوله – مثلًا –: (ثم الصّاد، والسِّين، والزَّاء في حيِّز واحد)[٢]، فهذه الثلاثة من مخرج واحد ولا يُفرق بينها سوى الصفات، فالسين صوت مهموسٌ، أما الصاد والزاء فمجهوران، والصاد مُطْبقة، أما السين والزاء فمنفتحان.

وبناء على ما سبق فيمكن القول بأن (الحَيِّز أوسع من المخرج؛ لأنه قد يحتوي على أكثر من صوت).[٣]

وذهب الدكتور حلمي خليل إلى أن مدرجة الصوت تختلف عن مخرجه، إذ هي موضعه الذي يبدأ منه، وهو طريق الهواء من لدن موضع الاعتراض من حيث مخرج الصوت، فمدرجة الباء – مثلًا – من بين الشفتين، ومدرجة التاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وهكذا في كل صوت له مدرجته.[٤]

**توزيع الحروف على الأحياز عند الخليل:**

عَمَدَ الخليل إلى توزيع الحروف العربية على عشرة أحياز، كما هو مُوَضَّح في النص التالي:

(قال الخليل: فأقصي الحروف كلِّها العَيْنُ، ثم الحاءُ، ولولا بُحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن؛ لِقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاءُ؛ ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة: " ههّة " لأَشْبَهَت الحاء؛ لِقُرْب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه

(١) العين ٥٧/١، ٥٨.

(٢) العين ٥٨/١.

(٣) التفكير الصوتي عند الخليل، ص٢٣.

(٤) ينظر: التفكير الصوتي عند الخليل، ص٣٦.

ثلاثة أحرف في حَيِّز واحد بعضُها أرفع من بعض، ثم الخاءُ والغَيْنُ في حيِّز واحد، كلُّهُنَّ حلقية، ثم القافُ والكافُ لهَويتان، والكاف أرفع، ثم الجيمُ والشينُ والضادُ في حيِّز واحد، ثم الصّادُ والسِّينُ والزَّاءُ في حيِّز واحد، ثم الطاءُ والدّالُ والتّاءُ في حيزٍّ واحد، ثم الظاءُ والذالُ والثاءُ في حيِّز واحد، ثم الراءُ واللامُ والنونُ في حيّز واحد، ثم الفاءُ والباءُ والميمُ في حيِّز واحد، ثم الألفُ والواوُ والياءُ في حَيِّزٍ واحد، والهمزةُ في الهواء لم يكن لها حَيِّز تُنْسَب إليه).[1]

وإذا كان الخليل ذكر في النصّ السابق أن الهمزة في الهواء، وليس لها حَيِّزٌ تُنْسب إليه، فإنه ذكر بعد قليل من النص السابق أنها مع الألف والواو والياء في حَيِّز واحد، فقال: (والياءُ والواوُ والألفُ والهمزةُ هوائيةٌ في حَيِّز واحد؛ لأنّها لا يَتَعَلَّق بها شيءٌ).[2]

**توزيع الحروف على المخارج عند الخليل:**

سبق القول بأن الخليل لم يعمد إلى ذكر مخارج الحروف على وجه التفصيل كما فعل تلميذه سيبويه، وأن ذلك يرجع إلى اختلاف الهدف والمنهج عند كُلٍّ منهما.

والناظر في مقدمة (العين) يجد أن الخليل جَمَعَ الحروف في تسعة مخارج، وهي المذكورة في النص التالي: (قال الليث: قال الخليل: فالعَيْنُ والحاءُ والخاءُ والغَيْنُ حَلْقيّةٌ؛ لأن مبدأها من الحَلْق، والقافُ والكافُ لَهَوِيَّتانِ؛ لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة. والجيمُ والشِّينُ والضادُ شَجْريّةٌ؛ لأنّ مَبْدَأها من شَجْر الفَمِ. أي: مَفرج الفَمِ[3]، والصادُ والسينُ والزاءُ أَسَلِيَّةٌ؛ لأنَّ مبدأها من أسَلَة

(١) العين ٥٧/١، ٥٨.

(٢) العين ٥٨/١.

(٣) وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.

اللسان، وهي مُسْتدَقّ طرف اللسان. والطاءُ والتاءُ والدالُ نِطْعِيَّةٌ؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى(١). والظاءُ والذّالُ والثّاءُ لِثَوِيّةٌ؛ لأنّ مَبْدَأها من اللِّثَة. والرّاءُ واللاَّمُ والنُّونُ ذَلَقِيّةٌ؛ لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللسان، وهو تحديدُ طَرَفَي ذلق اللسان. والفاءُ والباءُ والميمُ شَفَوِيّةٌ، وقال مَرّةً: شَفَهِيّة؛ لأن مبدأها من الشَّفَة. والياءُ والواوُ والألفُ والهمزةُ هوائيةٌ في حَيِّز واحد؛ لأنّها لا يَتَعَلَّق بها شيءٌ، فَنُسِبَ كلٌّ حرف إلى مَدْرَجَتِهِ ومَوْضِعِهِ الذي يَبْدَأ منه)(٢).

ويلاحظ على هذا النص عدة أمور، منها:

**أولها:** أن الخليل لم يذكر الهاء، لكنه ذكرها سابقًا مع حروف الحلق، فلعل سقوطها هنا من باب السهو.

**ثانيها:** أن الخليل ذكر في هذا النص أن الهمزة هوائية، وفي موطن آخر قال إنها جوفية(٣)، ولكنه قرر قبل ذلك بأنها من أقصى الحلق، فقال: (وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّهَ عنها لانتْ فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح)(٤)، وبالنظر في السياقات الثلاثة يتبين لنا أن الخليل – رحمه الله تعالى– كان يدرك تمام الإدراك مخرج الهمزة، وهو أنها من أقصى الحلق، وحديثه هنا عن الهمزة المحققة، أما إذا أُبْدلت ياءً أو واوًا أو ألفًا فهي حينئذ هوائية، أو جوفية، وقد سبق الحديث عن ذلك(٥)، لكن الذي يهمنا في هذا المقام هو التأكيد على أن الخليل ذكر صراحة أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق.

---

(١) وهو سقف الحنك الأعلى.

(٢) العين ٥٨/١.

(٣) العين ٥٧/١.

(٤) العين ٥٢/١.

(٥) ينظر: ص١٦ وما بعدها، من هذا البحث.

**ثالثهـا:** لـم يعـرض الخليـل للـواو واليـاء الصـامتتين، فلـم يـذكر مخرجيهما، ولعل ذلك – أيضا – يرجع إلى منهجه الذي رسمه لنفسه، حيث كان الحديث عن الأصوات مقدمةً للمعجم الذي عقد العزمَ على تأليفه، ومع ذلك فلعل ما ذهب إليه الدكتور مهدي المخزومي يكون صحيحًا، وذلك عندما قال: (لا يَبْعُدُ أن تكون الواو عند الخليل كما هي عند سيبويه مع الأحرف الشفوية، بدليل قوله حين عرض للفاء والباء والميم: ليس غيرها من الحروف الصحاح يخرج من الشفتين، مما يُشْعر أن الخليل كان يلاحظ أن الواو من الحروف الشفوية، إلا أنها من حروف العلة...ولا يَبْعُدُ أن تكون الياء القوية عنده كما هي عند سيبويه، مع الجيم والشين والضاد).[1]

ولعل ما يؤيد ذلك ما جاء فيما رواه النَّضْر بن شُمَيْل عن الخليل بشأن مخارج الحروف، حيث جعل الياء من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، مع الشين والجيم، فقال: (ثم الشين، والجيم، والياء، شَجْرية؛ لأن مبدأها من الشَّجْر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك).[2]

وجعل الواو من الشفتين مع الباء والميم، فقال: (ثم الباء، والميم، والواو شفهية).[3]

وجاء في رواية الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) عن الخليل ما يؤيد ذلك أيضًا، حيث قال: (أما الحروف العربية فثمانية وعشرون أصلًا، ولها ستة عشر حَيِّزًا، فمنها ما اتفق مبدؤها واختلف مجراها، مثل: الجيم مع الياء،

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، ص١٠٥، ١٠٦. والنص عند الخليل: (وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط). (العين ٥١/١، ٥٢).

(٢) تذكرة النحاة، ص٢٧.

(٣) تذكرة النحاة، ص٢٨.

والواو مع الباء ... ثم الجيم والياء، وهما من مبدئه ويعارضانه في مجراه، وينوب أحدهما مناب الآخر في مواضعهما[١] ... ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين).[٢]

**رابعها:** أن النص خلا من الحديث عن مخرج الخيشوم، لكن جاء في رواية الأخفش الأوسط قوله: (ثم النون المخْفِيَّة من الخياشيم)[٣]، وجاء في (العين): (والخُنَّةُ كالغُنَّةِ، كأن الكلام يرجع إلى الخَيَاشيم).[٤]

وبناء على ذلك فإن الخليل لم يغفل عن مخرج الخيشوم.

وعلى العموم ففي النص المشار إليه سابقًا قام الخليل بتوزيع الحروف على تسعة مخارج، ووضع كل مجموعة منها في مخرجها الذي تبدأ منه، ولَقَّبَ كلَّ مجموعة منها – تبعًا لذلك – بلقب خاصٍّ، وذلك على النحو التالي:

١- الأحرف الهوائية – أو كما سمّاها في موطن آخر – الأحرف الجوفية، وهي: الألف، ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها.

٢- الأحرف الحلقية، وهي: الهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء.

٣- اللهوية، وهما: القاف، والكاف.

---

(١) هذه إشارة إلى ما يقع من الإبدال بين الياء والجيم، كما في: عَلِجّ، بدلا من: عَلِيّ، والعَشِجّ بدلا من: العَشِيّ، وقلب الياء جيمًا يُعرف عند اللغويين باسم: العجعجة. وقد تقلب الجيم ياء، كما في: صِهْرِيّ، وصَهَارِيّ، بدلا من: صَهْرِيج، وصَهَارِيج.

(٢) تذكرة النحاة، ص٢٩، ٣٠.

(٣) تذكرة النحاة، ص٣٠، ٣١.

(٤) العين ١٤٢/٤.

٤- الشَّجْرِيَّة، وهي: الجيم، والشين، والضاد، ويضاف إلى ذلك: الياء غير المدية، بناء على ما سبق في رواية النضر بن شميل عن الخليل.

٥- الأَسَلِيَّة، وهي: الصاد، والسين، والزاي.

٦- النَّطعِيَّة، وهي: الطاء، والتاء، والدال.

٧- اللثَوِيَّة، وهي: الظاء، والذال، والثاء.

٨- الذّلقية، وهي: الراء، واللام، والنون المظْهَرَة.

٩- الشَّفَوِيَّة، وهي: الفاء، والباء، والميم.

**صفات الحروف:**

عرض الخليل في مقدمة معجمه (العين) لبعض صفات الحروف، كما نُسِب إليه – أيضًا – القولُ ببعض الصفات، وذلك في غير هذه المقدمة، ولعله لم يعرض لجميع صفات الحروف بسبب الهدف الذي رسمه لنفسه من تأليف هذا المعجم، ولعل مما يؤكد ذلك إطالته في الحديث عن (الذلاقة والإصمات).

أما الصفات التي تحدث عنها فهي على النحو التالي:

**أولا: الصفات التي لها ضد:**

**١- الذلاقة والإصمات:**

ذكر الخليل صفة الذلاقة وحروفها وعلة تسميتها بهذا الاسم، فقال: (اعْلَمْ أنَّ الحروفَ الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّةٌ وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا؛ لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللسان والشفتين، وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة، ر ل ن، تخرج من ذَلْق اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف

الصّحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللسانُ إلا بالرَّاء واللام والنون).[١]

ففي النص السابق اقتصر الخليل على ذكر صفة الذلاقة وحروفها، وهي تلك الأحرف التي تخرج من ذَلْق اللسان، وهو مُسْتَدَقّ طَرَفه، لكن يلاحظ أنه أطلق مصطلح الذلاقة على هذه الأحرف وعلى أحرف الشفتين.[٢]

لكنه بعد قليل من هذا النص ذكر الخليل صفة الإصمات، حيث سَمَّى حروفها بالحروف الصُّتْم، ففي أثناء حديثه عن أهمية حروف الذلاقة في بناء الكلمات العربية ذكر أن ما (جاء من اسْمٍ رباعيٍّ مُنْبَسِط مُعَرًّى من الحُرُوف الذُّلْق والشَّفَوِيَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ[٣] أو كليهما، ومن السين والدال أو إحداهما، **ولا يضُرّهُ ما خالطه من سائر الحروف الصُّتْمِ**).[٤]

وعند حديثه عن الحكاية المضاعفة قال: (والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها: ما كان حرفا عجزه مثل حَرْفَيْ صدره، وذلك بناء

(١) العين ٥١/١، ٥٢.

(٢) وفي العين ٤٢١/٨ (م ي م) قال الخليل: (والميم من الحروف الصحاح الستة المذلقة، التي هي في حَيِّزَيْن: حَيِّز الشفتين، وحَيِّز ذَوْلق اللسان، وهي من التأليف: الحرف الثالث للفاء والباء، وهي آخر الحروف من الحَيِّز الأول، وهو الحَيِّز الشفوي).

(٣) هما: العين والقاف، حيث قال: (ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا). العين ٥٣/١.

(٤) العين ٥٤/١، وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٥.

يستحسنه العرب، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتلّ، ومن الذُّلْق والطُّلْق والصُّتْم).[١]

وذكر الخليل صفة الإصمات صراحة، وذلك فيما ذكره الأزهري من غير طريق الليث، حيث نجد ذِكْرًا للذلاقة والإصمات، وحروفهما، وعلة التسمية، وأهمية حروف الذلاقة في بناء الكلمات العربية.[٢]

والأمر نفسه نجده فيما رواه أبو حيان (ت٧٤٥هـ) عن أبي جنادة اللغوي عن الليث بن المظفر عن الخليل بن أحمد.[٣]

فالخليل بن أحمد هو صاحب هذه التسمية، وعلَّلَ تسمية حروف الذلاقة بهذا الاسم، بقوله: (وأما الحروف المذْلَقة فإنها ستةُ أحرف في حَيِّزَيْن: أحدهما: حَيِّزُ الفاء ... والحَيِّزُ الآخر: حَيِّزُ اللام ... فهاتان المدْرَجتان هما موضع الذلاقة، وحروفها أخَفّ الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء).[٤]

وعلل تسمية الحروف المصمتة بهذا الاسم بقوله: (إنما سُمِّيت مُصْمَتة؛ لأنها أُصْمتت، فلم تدخل الأبنيةَ كُلَّها)[٥]، ومعنى هذا أنها – كما قال ابن جني –: (صُمَّتْ عنها أنْ تُبْنَى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعَرَّاة من حروف الذلاقة).[٦]

---

(١) العين ١/ ٥٥.

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٥٠، ٥١.

(٣) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٥، ٢٦.

(٤) تذكرة النحاة، ص٢٦. وينظر: العين ١/٥١، ٥٢.

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٥١.

(٦) سر صناعة الإعراب، لابن جني، ١/٦٥.

وهذه العلة معناها أن حروف الإصمات أثقلُ من حروف الذلاقة، التي وصفها الخليل بأنها أخف الحروف في المنطق، وهذا ما أكَّده الأخفش، حيث ذهب إلى أن الحروف المصمتة مُنِعت أنْ تختص ببناء كلمة في لغة العرب أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة؛ وذلك لاعتياصها وصعوبتها على اللسان، فالمصمتة هي الممنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة، من قولهم: صَمَتَ: إذا مَنَعَ نَفْسَه من الكلام.(١)

والأمْرُ نفْسُه أكَّده الإمام الرضي في قوله: (والمصمتة: ضد حروف الذلاقة، والشيء المُصْمَت هو الذي لا جوف له، فيكون ثقيلاً، سميت بذلك؛ لثقلها على اللسان، بخلاف حروف الذلاقة).(٢)

والخليل أول من لفت الأنظار إلى أهمية حروف الذلاقة في بناء الكلمات العربية، يقول الخليل: (فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بِهِنَّ اللِّسانُ وسَهُلَتْ عليه في المنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنِيَةِ الكلام، فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها).(٣)

وليس هذا الحكم خاصًّا بالخماسي وحده، وإنما يشمل الرباعي كذلك، ما عدا نوعًا واحدًا منه، يقول الخليل: (فَلَسْتَ واجِدًا في جميع كلام العرب كلمةً خماسية بناؤها من الحروف المصمتة خاصة، ولا رباعية كذلك، غير

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد ٤٥/١، تحقيق الدكتور/ رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، الرعاية، مكي بن أبي طالب، ص١٣٥، ١٣٦، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، ط٣، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار عمار، الأردن.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي ٢٦٢/٣، تحقيق محمد نور الحسن، وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٣) العين ٥٢/١.

ضرب واحد يقال له: الرباعي المُعَدَّى، وهو قليل، وما جاء فالسين لازمة له، نحو: عَسْجَد، وعَسَطُوس، وإنما اسْتَخَفَّت العربُ ذلك لخفّة السين وهشاشتها).[١]

ويرى الخليل أن عدم وجود حرف أو أكثر من حروف الذلاقة في الكلمة الرباعية أو الخماسية دليل على عجمتها وعدم عروبتها، يتضح ذلك من قوله: (فإن وَرَدَتْ عليك كلمةٌ رباعيَّةٌ أو خماسيَّةٌ مُعَرَّاة من حروف الذَّلَق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثَةٌ مُبْتَدَعةٌ، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجدًا من يسمع من كلام العرب كلمةً واحدةً رباعيَّةً أو خماسيَّةً إلا وفيها من حروف الذَّلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر).[٢]

وفيما ذكره الأزهري من طريق الليث نجد قول الخليل: (فإن وَرَدَ عليك خماسيٌّ مُعَرًّى من الحروف الذُّلْق والشفوية فاعلم أنه مُوَلَّد وليس من صحيح كلام العرب، نحو: الخَضَعْثَج، والكَشَعْطَج، وأشباه ذلك، وإن أَشْبَهَ لفظَهم وتأليفَهم، فلا تَقْبَلَنَّ منه شيئًا؛ فإن النَّحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة التلبيس والتَّعَنُّت).[٣]

فالخماسي من الكلمات العربية لا يخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

(١) تذكرة النحاة، ص٢٦. والعَسَطُوس: قيل: هو شجرة لَيِّنَةُ الأغصان، لا أُبَنَ لها ولا شوك، يقال إنه الخيزران. وقيل: هو شجر يُشْبه الخيزران. وقيل: هو رأس النصارى. ينظر: لسان العرب ٤/ ٢٩٤٢، ٢٩٤٣ (ع س ط)، (ع س ط س).

(٢) العين ٥٢/١.

(٣) تهذيب اللغة ٤٤/١، وينظر: العين ٥٢/١، ٥٣.

أما الرباعي فقد استثنى منه الخليل – أولًا – نَحْوَ عَشْرِ كلمات، فقال: (وأما البناءُ الرباعيُّ المُنْبَسِطُ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُّلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوًا من عَشْرٍ جِئْنَ[١] شَوَاذَّ، ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والعَسَطُوس[٢] والقُدَاحِس والدُّعْشُوقَةُ والدَّهْدَعَةُ[٣] والزَّهْزَقَةُ)[٤].

وعَلَّلَ الخليل مجيء هذه الكلمات المستثناة خالية من حروف الذلاقة بأن وجود العين والقاف فيها هو الذي سَوَّغَ ذلك ، فقال: (وهذه الأحرف قد عَرَيْنَ من الحروف الذُّلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا، فإذا اجْتَمَعَا أو أحدُهما في بناءٍ حَسُنَ البناءُ لنَصاعتهما، فإنْ كان البناءُ اسمًا لَزِمَتْهُ السِّينُ أو الدَّالُ مع لزوم العَيْن أو القاف؛ لأن الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكَزَازَتِهَا،

(١) في الأصل: كئن، وما أثبت من: مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها، ص٤٦.

(٢) في الأصل: القَسْطوس، وما أثبت من: مقدمة العين في أرجح نصوصها، ص٤٦، وتهذيب اللغة ١/ ٤٥، وسر صناعة الإعراب ٦٥/١.

(٣) في الأصل: والهُدْعةُ، وما أثبت من: مقدمة العين في أرجح نصوصها، ص٤٦، وتهذيب اللغة ٤٥/١.

(٤) العين ٥٣/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٤، ٤٥. والعَسْجَد: الذَّهَب، وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدُّرّ والياقوت. والقُدَاحِس: الشُّجاع الجريء. والدُّعْشُوقَة: دُوَيْبَّة كالخنفساء، وربما قيل للمرأة القصيرة: دعشوقة، تشبيها بتلك الدُّوَيْبَّة. والدَّهْدَعَة: يقال: دَهَعَ الراعي بالغنم ودَهَّعَ ودَهْدَعَ دَهَدَعَةً، أي: زَجَرَها، ودَهْدَعَ بها: صَوَّتَ. والزَّهْزَقَة: شدَّة الضّحك. ينظر فيما سبق على الترتيب: لسان العرب ٢٩٣٧/٤ (ع س ج د)، ٥/ ٣٥٤٢ (ق د ح س)، ٢/ ١٣٨٠ (د ع ش ق)، ٢/ ١٤٤١ (د ه ع)، ٣/ ١٨٧٨ (ز ه ز ق).

وارْتَفعتْ عن خُفُوت التّاء فَحَسُنَتْ، وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك).[١]

فالخليل يرى أن (الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف، حرف يُبْتدأ به، وحرف يُحْشَى به الكلمة، وحرف يُوقَف عليه)[٢]، وإذا زادت الكلمة عن ثلاثة أحرف ثقلت، وحينئذ فهي في حاجة إلى ما يُخَفِّف من هذا الثِّقَل، ومن هنا تأتي أهمية حروف الذلاقة، فلا بد من اشتمال الخماسي على حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

وإذا كان الرباعي وَسَطًا بين الثلاثي والخماسي فإنه – رغم ثقله وحاجته إلى حروف الذلاقة لِتُخَفِّفَ من هذا الثِّقَل – يُسْتثنى من هذا الحكم في بعض الأحيان، كما في حالة الكلمات التي استثناها الخليل مما سَمّاه: الرباعي المنْبسط، مثل: العَسْجَد، والعَسَطُوس ...الخ، والتي ذكر أن الذي سَوَّغ مجيئها خاليةً من حروف الذلاقة وجودُ العين أو القاف، مع لزوم السين أو الدال إذا كان البناء اسْمًا.

**ثُمَّ استثنى الخليل نوعًا آخر من الرباعي المنبسط، سماه: الحكاية المؤلَّفة،**[٣] وهي التي يكون صَدْرها موافقًا لحرف صدر ما ضُمَّ إليها في عَجُزها، وذلك مثل: دَهْداق[٤]، وزَهْزاق، فكأنهم ضَمُّوا "د ه" إلى "د ق"

(١) العين ٥٣/١، ٥٤.

(٢) العين ٤٩/١.

(٣) والحكاية: بيان المَحْكِيّ صوتًا مُناظِرًا لأصوات الطبيعة. التفكير الصوتي عند الخليل، ص٥٨.

(٤) الدهداق: الدَّهْدَقَة: دوران البِضَعِ الكثيرِ في القِدْرِ إذا غَلَتْ، تراها تعلو مرةً وتسفل أخرى، قال الشاعر:

تَقَمَّصَ دَهْداقَ البَضِيعِ كأنّه رُءوسُ قَطًا كُدْرٍ دِقاقِ الحناجِرِ

ينظر: لسان العرب ٢/ ١٤٤٢ (د ه ق).

فألَّفوهما، ولولا ما جاء فيهما من تشابه بين الحرفين ما حَسُنَت الحكاية فيهما، وعلل مجيء هذا النوع خاليًا من حروف الذلاقة بأن الهاء لازمة له فصْلًا بين حَرْفَيْهِ المتشابِهَيْن مع لزوم العين أو القاف، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضَّرْب من الحكاية لِلِينها وهَشَاشتها، وإنما هي نَفَسٌ لا اعتياصَ فيها.(١)

وذهب الخليل إلى أن الحكاية المؤلفة إذا كان فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة فلن يَضُرَّ كانت فيها الهاء أو لا نحو: الغَطْمَطَة وأشباهها. وعلى كُلٍّ فالحكاية المؤلفة نَزْرٌ قليلٌ.(٢)

**ثم استثنى الخليل من الحكم السابق نوعًا سَمَّاه: الحكاية المضاعَفَة**، وهو: ما كان حَرْفا عَجُزِه مثل حَرْفَي صدره، مثل: الصَّلْصَلِة، والزَّلْزَلَة ونحوهما، وذهب الخليل إلى أن هذا البناء يستحسنه العربُ، وأنه يجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتلّ، ومن الذُّلْقِ والطُّلْق والصُّتْم، وأنه يُنْسَب إلى الثنائي؛ لأنه يُضاعِفُهُ.(٣)

وذهب إلى أن الحكاية المضاعفة يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف، نحو: الضَّكْضَاكَة(٤)، ولا يجوز في غير ذلك مجيء الكاف بعد الضاد إلا مفصولًا بينهما بحرف أو أكثر، مثل: الضَّنْك، والضَّحِك ونحو ذلك، وجاز مجيء الكاف بعد الضاد في المضاعف ولم

(١) ينظر: مقدمة العين في أرجح نصوصها، ص٤٨، تهذيب اللغة ١/ ، العين ٥٤/١.

(٢) ينظر: العين ٥٤/١. والغطمطة هي: اضطراب الأمواج، وصوتُ السَّيْل في الوادي. ينظر: لسان العرب ٥/ ٣٢٧٣ (غ ط م ط).

(٣) ينظر: العين ٥٥/١.

(٤) الضَّكْضاكُ من الرجال: القصير المُكْتنز، وامرأة ضَكْضاكَةٌ كذلك، وقيل: امرأةٌ ضَكْضاكَةٌ: مُكْتنزةُ اللحم، صُلْبَةٌ. ينظر: لسان العرب ٤/ ٢٥٩٨ (ض ك ك).

يجز في غيره؛ لأن المضاعف يجوز فيه كلُّ غَثٍّ وسَمين من الفصول والأعجاز والصدور وغير ذلك.(١)

**٢- المُخْتَفِضَة والمُسْتَعْلِيَة:**

ورد فيما ذكره الأزهري من غير طريق الليث، عند حديثه عن الحروف المُصْمَتة قول الخليل: (أما المُصْمَتة وهي الصُّتْم أيضًا فإنها تسعة عشر حرفًا صحيحًا، منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق ، وهي: ع ح هـ خ غ . ومنها أربعة عشر حرفًا مخارجها من الفم، مَدرُجها على ظَهْر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خَمْسٌ شواخص، وهُنّ: ط ض ص ظ ق وتُسَمَّى: المُسْتعلِيَة، ومنها تسعة مُخْتَفِضَةٌ، وهُنّ: ك ج ش ز س د ت ذ ث).(٢)

وهذا النص ذكره أبو حيان نقلًا عن أبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي من طريق الليث، مع اختلاف يسير جدًّا، واكتفى في تسمية الخمسة الأُوَل بالشِّواخص، وسمى التسعة الباقية بالْمُنْخفضة.(٣)

**ثانيا: صفات خاصة بصوت أو أكثر:**

وصف الخليل في (المقدمة) بعض الحروف ببعض الصفات، فمن ذلك مثلًا:

**الطاء:**

حيث وصفها بالصلابة والكزازة.(٤)

(١) ينظر: العين ٥٦/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٥١/١.

(٣) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٥، ٢٦.

(٤) ينظر: العين ٥٣/١، ٥٤.

**العين والقاف:**

وصفهما بالطَّلاقة، وضخامة الجَرْس، والنَّصاعة[١]، وأضاف الأزهري فيما رواه عن الليث قوله: (أما العين فأنصع الحروف جَرْسًا، وأَلَذُّها سماعًا، وأما القاف فأَصَحُّها جَرْسًا).[٢]

ولعله يقصد بالطَّلاقة – هنا – حُسْن جَرْس الصوت، وسهولته على اللسان، يقال: وَجْهٌ طَلْقٌ، وطِلْقٌ، وطُلْقٌ أي: ضاحكٌ مُشْرق، ووَجْهٌ طَلِيقٌ كطَلْق، والاسم منها والمصدر جميعًا: الطَّلاقة. وليلةٌ طَلْقَةٌ: سهلة طيبة لا بَرْد فيها. ورجلٌ طَلْقُ اللسان: فصيحٌ، ومنه في حديث الرِّحم: (تكلم بلسان طَلْقٍ) أي: ماضي القول، سريع النطق[٣]، ويقال: لسانٌ طُلُقٌ ذُلُقٌ، وطَلْقٌ ذَلْقٌ، وطَلِيقٌ ذَلِيقٌ، ومعناه: الْمَضاء والنَّفاذ.[٤]

**التاء:**

وصفها بالخُفُوت.[٥]

**اللام والراء والنون:**

وَصَفَهُنّ بالانحراف.[٦]

وجاء وَصْفُهُنَّ بالانحراف – أيضًا – فيما رواه أبو حيان من طريق الأخفش.[٧]

---

(١) ينظر: العين ١/٥٣.

(٢) تهذيب اللغة ١/٤٥.

(٣) ينظر: العين ٥/١٠٢، لسان العرب ٤/ ٢٦٩٤، ٢٦٩٥ (ط ل ق).

(٤) ينظر: لسان العرب ٣/ ١٥١٢ (ذ ل ق).

(٥) ينظر: العين ١/٥٤. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٥.

(٦) ينظر: العين ١/٥٢. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٤.

(٧) ينظر: تذكرة النحاة، ص٣٠.

أما فيما رواه أبو حيان من طريق النضر بن شميل، فقد اقتصرت صفة الانحراف على صوت الراء فقط، حيث قال: (وأما الراء فَمُنْحَرِفَةٌ من مخرج النون إلى اللام؛ لمزيَّة دُمُوجها في ظَهْر اللسان عند الكلام).[١]

وَوُصِفَت النون بالغُنَّة، وذلك فيما رواه أبو حيان من طريق الأخفش[٢]، وفيما ذكره الخليل في مادة (خ ن) يتضح لنا أنه ذكر مخرج الغنة، حيث قال: (والخُنَان في الإبل: كالزُّكام في الناس، فَيُقال: خُنَّ البعيرُ، فهو مَخْنون، والخُنَّةُ كالغُنَّة، كأنّ الكلامَ يرجع إلى الخياشيم).[٣]

**الهمزة:**

وصفها بالهَتّ، والضَّغْط، واللين[٤]، وقد سبق تفسير ذلك.[٥]

**الدال:**

وصفها باللّيونة.[٦]

**الهاء:**

وصفها باللين، والهَشاشَة، وبأنها نَفَسٌ لا اعتياص فيها[٧]، وبأن فيها هَتَّة أو هَهَّة.[٨]

(١) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٨.

(٢) ينظر: تذكرة النحاة، ص٣٠.

(٣) العين ١٤٢/٤ (خ ن).

(٤) ينظر: العين ٥٢/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٤.

(٥) ينظر: ص١٧ من هذا البحث.

(٦) ينظر: العين ٥٣/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٥.

(٧) ينظر: العين ٥٤/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٥.

(٨) ينظر: العين ٥٧/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٨.

**الحاء:**

ذكر الخليل أن بها بُحَّة، فقال: (ولولا بُحَّة في الحاء لأشبهت العَيْنَ؛ لقرب مخرجها من العين).[١]

ووردت هذه الصفة – أيضًا – عند أبي حيان من طريق النَّضْر بن شُمَيْل.[٢]

**الميم:**

قال عنها إنها (مُطْبَقَة؛ لأنها تُطْبِق الفم إذا نُطِقَ بها).[٣]

**السين:**

فيما رواه الأزهري من غير طريق الليث جاء وصف السين بالخِفَّة والهَشَاشَة.[٤]

لكن هذين الوصفين وَرَدَا عند أبي حيان من طريق الليث.[٥]

(١) ينظر: العين ٥٧/١. وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٨.

(٢) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٧.

(٣) ينظر: العين ٥٨/١. وفي العين ٨/ ٤٢١ (م ي م) قال الخليل: (والميم مُطْبَقة؛ لأنك إذا تكلمت بها أطبقت). وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٤٩.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١/ ٥١.

(٥) ينظر: تذكرة النحاة، ص٢٦.

## الخاتمة

- لم يغب عن الخليل بن أحمد الترتيب الهجائي ولا الترتيب الأبجدي، لكنه لم يعتمد على أيٍّ منهما؛ لأنهما لا يخدمان هدف الخليل.
- بناء على ذوق الحروف، أو التجربة الذاتية استطاع الخليل أن يُرَتّب الحروف ترتيبًا صوتيًّا، بحسب أعمقها مخرجًا، مُسْتثنيًا من ذلك بعضَ الحروف لعلّة ظهرتْ له.
- رغم اعتماد الخليل على التجربة الذاتية لمعرفة مخارج الأصوات فإن ملاحظاته بالنسبة للمخارج كانت دقيقة وصحيحة، ولا نستطيع اتهامه بالخطأ أو عدم الدقة، وما استدركه سيبويه على أستاذه الخليل إنما يرجع – في جزء كبير منه – إلى اختلاف المنهج عند كلٍّ منهما.
- وضع الخليل الهمزة مع حروف العلة؛ لأنها عند تخفيفها تصير إلى واحد من هذه الأحرف الثلاثة (واي)، ولا نتفق معه في جعلها من الحروف الجوفية إلا على هذا الأساس.
- اقتصر الخليل على الحروف الأصلية، ولم يذكر الحروف الفرعية التي ذكرها – فيما بعد – سيبويه؛ لأنه كان يقصد إلى معرفة التراكيب الممكنة من الحروف العربية، باستعمال نظام التقليبات، فقد كان بصدد عملٍ معجميّ.
- يمكن القول بأن الخليل – رحمه الله تعالى – أدرك الفرق بين نوعي الأصوات (الصوامت والصوائت)، لكنه أطلق عليهما مصطلحيْ: صحاح وجُوف.
- أدرك الخليل الفرقَ بين الواو والياء إذا كانا صائتين، والواو والياء إذا كانا شبيهين بالصوائت، أي في حال سكونهما وانفتاح ما قبلهما، كما في: خَوْف، وبَيْت.

- استطاع الخليل أن يضع يده على خاصية مهمة من خواص الحركات، والتي تتمثل في حرية مرور الهواء حال النطق بها دون أدنى اعتراض.
- ذكر الخليل كثيرًا من أعضاء النطق، ودورها في إصدار الأصوات اللغوية وإنتاجها، بل إنه لَقَّبَ بعض الأصوات بموضع نطقها من أعضاء جهاز النطق الإنساني.
- لم يذكر الخليل الحنجرة ولا الوترين الصوتيين، وذلك يرجع إلى عدم معرفته بالتشريح، ولا عيب في ذلك فقد فعل ما يناسب عصره.
- أدرك الخليل ارتباط إصدار الأصوات وإنتاجها بتيار الهواء الخارج من الرئتين، وما يحدث للهواء حين خروجه من اعتراض كُلِّيٍّ أو جُزئيّ.
- عرض الخليل لمخارج الحروف، لكن عرضه لها لم يكن بالتفصيل نفسه الذي وَرَدَ عند تلميذه سيبويه، ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف الهدف الذي جَعَلَ كلَّ واحد منهما يعرض للدراسة الصوتية.
- عَمَدَ الخليل إلى توزيع الحروف العربية على عشرة أحياز.
- عرض الخليل لبعض صفات الحروف، ولكنه أطال الحديث عن الذلاقة والإصمات، وذلك لما للذلاقة من أهمية كبرى في معرفة الكلمات العربية وتمييزها من الكلمات الأعجمية.

## المصادر والمراجع


- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، د. أحمد محمد قدور، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، دار الفكر، دمشق.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، الناشر: الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- تذكرة النحاة، لأبي حيان، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- التفكير الصوتي عند الخليل، د. حلمي خليل، ط١، ١٩٨٨م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، مهدي المخزومي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٦٠م.
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار القلم.
- الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.
- علم الصوتيات، د. عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ط٢، ١٩٩٢م، دار الفكر العربي.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف بمصر.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- مقدمة كتاب (العين) في أرجح نصوصها، محمد حسن آل ياسين، مجلة البلاغ، العددان: التاسع، والعاشر، السنة السادسة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

**References :**


- 'asalat eilm al'aswat eind alkhalil min khilal muqadimat kitab aleayni, du. 'ahmad muhamad qadur, 1424h 2003mi, dar alfikri, dimashq.
- al'aswat allughawiati, du. 'iibrahim 'anis, alnaashir: al'anjilu almisriatu, alqahirati, 1995mi.
- albahr almuhit fi altafsiri, li'abi hayan, tahqiqu: sidqi muhamad jamil, alnaashir: dar alfikr - bayrut, 1420hi.
- tadhkirat alnahati, li'abi hayan, tahqiqu: du. eafif eabd alrahman, ta1, 1406h 1986m, muasasat alrisalati, bayrut.
- altafkir alsawtiu eind alkhalil, da. hilmi khalil, ta1, 1988mi, dar almaerifat aljamieiati, al'iiskandiriati.
- tahdhib allughati, lil'azhari, tahqiq eabd alsalam harun, aldaar almisriat liltaalif walnashr 1384h 1964m.
- aljamie li'ahkam alqurani, lilqurtubi, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, ta2, 1384h 1964ma, alnaashir: dar alkutub almisriat - alqahiratu.
- alkhalil bn 'ahmad alfarahidiu 'aemaluh wamanhajuhu, mahdii almakhzumi, matbaeat alzahra', baghdad, 1960m.
- sr sinaeat al'iierabi, liabn jini, tahqiqu: du. hasan handawi, ta2, 1413ha 1993mi, dar alqalami.
- alsawt allughawiu fi alqurani, du. muhamad husayn alsaghir, 1420h 2000mi, dar almuarikh alearabi, bayrut, lubnan.
- ealam alsawtiaati, da. eabd aleaziz ealam, da. eabd allh rabie, alnaashir: maktabat alrushdi, alrayadi, almamlakat alearabiat alsueudiat, 1428h 2007m.
- eilam allughat muqadimat lilqari alearabii, du. mahmud alsaeran, ta2, 1992mi, dar alfikr alearabii.
- aleayn, lilkhalil bin 'ahmad, tahqiqu: du. mahdii almakhzumi, du. 'iibrahim alsaamaraayiy, ta1, 1408h 1988ma, muasasat al'aelami, bayrut, lubnan.

- alkitabi, lisibwyhi, tahqiq eabd alsalam harun, ta1, dar aljil bayrut.
- lisan alearibi, liabn manzuri, dar almaearif bimasra.
- almuzhar fi eulum allughat wa'anwaeuha, lilsuyuti, tahqiq muhamad 'ahmad jad almawlaa, wakhrin, ta3, maktabat dar alturath bialqahirati.
- muqadimat kitab (aleayn) fi 'arjah nususuha, muhamad hasan al yasin, majalat albalaghi, aleaddan: altaasie, waleashir, alsunat alsaadisat 1397h 1977m.
- maeani alquran wa'iierabuhu, lilzajaji, tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalbi, ta1, 1408h 1988m, alnaashir: ealim alkutub - bayrut.